المحاضرة العاشرة

اللهجات في القرآن[١] والحديث وكلام العرب (الشعر والنثر).

لا شكَّ في أنَّ هذه المصادر هي المنابع الغنية التي زودتنا بكثير من اللهجات العربية؛ لذا سأختار منها أمثلة متنوعة من اللهجات الواردة فيها، وهي مرتبة على النحو الآتي:

أ- القرآن الكريم:

يُعَدُّ القرآن الكريم منبعًا ثرًّا ومصدرًا مهمًا موثوقًا للهجات العربية، وفيما يأتي بعض الأمثلة المتنوعة من اللهجات الواردة في القرآن[٢].

١- قال تعالى: ((أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا)) [الرعد:٣١].

فييأس هنا بمعنى يعلم؛ ويَئِسَ بمعنى عَلِمَ لهجة لهَوَازِن وغيرها. في حين أنَّ المعنى الشائع لدى العرب هو أنَّ اليأس بمعنى القنوط وهو ضد الرجاء، أو هو قطع الأمل عن الشيء، ولكنه في الآية بمعنى عَلِمَ.

٢- قال تعالى : ((وقُلْنَ حاشا لله ما هذا بشرًا)) [يوسف:٣١].

فوردت الآية بإعمال (ما) عمل ليس على لهجة أهل الحجاز، في حين أنها لا تعمل شيئًا في لهجة بني تميم؛ لذا وردت الآية على لهجة من لهجات العرب.

٣- قال تعالى: ((ذلك الكتاب لاريب فيه)) [البقرة:٢].

---

(١) أما القراءات القرآنية فسيأتي الحديث عنها في مبحث: العلاقة بين اللهجات العربية والقراءات القرآنية.

(٢) هل القرآن نزل بلهجة واحدة أو بعدة لهجات؟ سيأتي الحديث عن ذلك في مبحث: القبائل التي وردت لهجاتها في القرآن الكريم.

قال الفرَّاء: (ذلك وتلك لغة قريش، وتميم تقول: ذاك وتيك الوقعة). وقال أبو حيَّان: (أهل الحجاز يقولون: ذلك وبه جاء القرآن. وأهل نجد من تميم، وقيس، وربيعة بغير لام). وقال ابن هشام في ذلك: (لا يأتي بنو تميم باللام مطلقًا؛ لأنَّ لغتهم القصر). فجاءت اللفظة على لهجة قريش، ونبَّة العلماء على لهجة غيرهم.

٤- قال تعالى: ((ثُمَّ عَمُوا وصَمُّوا كثيرٌ منهم)) [المائدة:٧١].

وقال تعالى: ((وأسروا النجوى الذين ظلموا)) [الانبياء:٣].

فقد حمل قوم من النحاة هاتين الآيتين على لهجة أزد شنوءة وبني الحارث بن كعب وطيِّئ ... وغيرهم، الذين يطابقون بين الفعل وفاعله في التثنية والجمع[٣]، فجعلوا الواوين في (أسروا) و (عموا) حرفين دالَّين على الجمع، و (الذين) و (كثير) فاعلين وخرَّجهما نحاة آخرون على أنَّ الواوين ضميران في محل رفع على الفاعل و(الذين) و (كثير) مبتدآن خبرهما الجملتان قبلهما، أو أنهما بدلان من الواوين الضميرين[٤].

---

(٣) تشبيهًا بالمطابقة في التأنيث والتذكير. ولابدَّ من الإشارة إلى أنَّ المشهور في العربية أنَّ الفعل المتقدم على فاعله لا يطابقه تثنيةً وجمعًا وإنما هو مفرد على كل حال، وتحصل المطابقة في التذكير والتأنيث فقط.

(٤) إذن التركيب هاتين يمكن أن يخرج على الأوجه الآتية:

أ- أن تكون الواو علامة جمع الفاعل. فيكون الاسم الظاهر (الذين) و (كثير) فاعلًا.

ب- أنَّ الواو فاعل، والاسم بدل منه.

ت- أنَّ الواو فاعل، والاسم خبر لمبتدإ محذوف، والتقدير: هم الذين ظلموا، العميُ والصُّم كثيرٌ منهم.

ث- الجملة الفعلية (أسرُّوا) و (عُمُوا) في محل رفع خبر مقدم، والاسم (الذين) و (كثير) مبتدآن ولا داعي لهذه التأويلات ما دامت هناك قبائل عربية فصيحة تعلقت بهذه اللهجة، ولعلَّ الذي دفع بعض النحاة إلى هذا هو قَصْدُ حمل القرآن على لهجة قريش وحدها لتفضيلها على غيرها من اللهجات في رأيهم، لذا حملوا القرآن على المشهور من كلام العرب ولكن الشواهد كثيرة على أنَّ القرآن اشتمل على لهجات أخرى كما سيأتي بيانه.

ب- الحديث النبوي(٥):

يُعَدُّ الحديث النبوي مصدرًا غنيًا من مصادر اللهجات العربية القديمة، وإن لم يول حقه في هذا الشأن – فهو لا يقل عن المصادر الأخرى شأنًا، بل قد نجد فيه من اللهجات ما لا نجده في غيره من مصادر اللهجات العربية. وهذه أمثلة من اللهجات الواردة في الحديث النبوي.

١- عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ((إذا قلتَ لصاحبك: أَنْصِتْ يومَ الجمعة، والإمام يَخطُبُ ، فقد لَغِيت))(٦).

قال أبو الزناد(٧): هي لغة(٨) أبي هريرة، وإنما هو لَغَوتَ(٩).

---

(٥) المشهور أنَّ الحديث يطلق على ما أُضيفَ إلى النبي من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، وبعضهم يوسع مفهوم الحديث فيُدخِل فيه ما أُضيفَ إلى الصحابة والتابعين من أقوالهم وأفعالهم.

تنبيه: لا بدَّ أن أنبه هنا على أمرين:

الأول: عدم جواز الطعن في فصاحة هذه اللهجات ولو كانت خارجة عن القواعد النحوية العامة؛ لأنَّ تلك اللهجات تسبق وضع القواعد، مما يهدم ما قيل كثيرًا عن وقوع اللحن في بعض القراءات القرآنية أو الأحاديث النبوية أو منظوم العرب ضمن عصور الاحتجاج.

الآخر: الإفادة من هذه اللهجات في تصحيح بعض مواقف العلماء الأوائل الذين ضعَّفوا هذا اللفظ أو لحنوا ذلك القول أو أنكروا وجودهما في كلام العرب بسبب نقض الاستقراء أو قصور الاطلاع.

(٦) صحيح مسلم (٢/٥٨٣).

(٧) هو أحد رواة هذا الحديث، واسمه عبدالله بن ذكوان القرشي أبو عبدالرحمن المدني (١٣٠هـ).

(٨) يعني (لغيت).

وسواء روى أبو هريرة هذه اللهجة بالنص عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو على حسب لهجته هو فإنَّ الحديث قد أثبت هذه اللهجة و ادخرها في مظانه الشهيرة.

قال ابن الأثير: ((يقال: لَغَا الإنسان يَلغُو، ولَغَى يَلْغَى، ولَغِيَ يَلْغَى إذا تكلَّمَ بالمطرح من القول وما لا يعني، وألغى إذا أسقط))[١٠].

وفي التاج : ((لَغَى في قوله كـ: سَقَى[١١] ودَعَا[١٢] ورَضِيَ[١٣] يَلغُو لَغْوًا، ويَلْغَى))[١٤].

٢- قول النبي (صلى الله عليه وسلم) في صفة أبي بكر (رضى الله عنه) : ((لو كنتُ متخذًا خليلًا من أمتي لاتخذتُ أبا بكر، ولكن خُوَّةُ الإسلام))[١٥]، فاستعمل (خُوَّة) وهي لهجة في الأُخُوَّة[١٦] ففيه حذف صوتي.

٣- عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: مَثَلي ومَثَلُ الناس كمثل رجل استوقد نارًا فجعل الفراش وهذه الدوابُّ تقع في النار...ثم ذكر أنَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) يحكي عن سليمان بن داوود عليهما السلام _قوله: ائتوني بالسكين أَشُقَّهُ بينهما...قال

(٩) وقد رُوِيَ الحديث بها أيضًا، يُنظَر: صحيح البخاري (١٦/٢) ، وصحيح مسلم (٥٨٣/٢).
(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢١/٤).
(١١) أي من الباب الثالث سَعَى يَسْعَى.
(١٢) أي من الباب الأول دَعَا يَدْعُو.
(١٣) أي من الباب الرابع رَضِيَ يَرْضَى.
(١٤) تاج العروس (٢٣١/٣٩).
(١٥) صحيح البخاري (١٢٦/١) بروايتين (أُخُوَّة) و (خُوَّة).
(١٦) يُنظَر: النهاية (٨٥/٢) ، وشواهد التوضيح (١٤١) ، وشرح الفصيح لابن هشام (١٠٤).

أبو هريرة: والله إن[١٧] سمعتُ بالسكين إلا يومئذٍ وما كنا نقول إلا المُدْيةُ)) فقبيلة أبي هريرة وهي دَوْس كانت تستعمل هذه اللفظة أي المدية بدلًا من لفظة (السكين) المشهورة عند بقية العرب، لذا استغربها لما سمعها.

٤- قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : ((ليس من امبِر امصِيَامُ في امْسَفَر))[١٨].

أي ليس من البر الصيام في السفر[١٩]. فقد استعمل الحديث (أم) للتعريف بدل (أل) ، وهذه لهجة نُسبت إلى الأزد وطيىء وحِمِيْر، وقد عُرِفت بالطُّمطُمانِيَّة. فهم يبدلون لام (أل) التعريف ميمًا كقولهم: امرَجلُ في: الرجل.

٥- قوله (صلى الله عليه وسلم) : ((لا وتران في ليلة))[٢٠].

إذ ورد الحديث على لهجة من يلزم المثنى وما جرى مجراه الألف في الأحوال الإعرابية الثلاث، وهي لهجة قبائل من العرب منهم كنانة وبنو الحارث بن كعب....وغيرهما، فعلى هذه اللهجة ورد هذا الحديث.

ت- الشعر:

احتفظ الشعر العربي بمآثر العرب وتاريخهم وأيامهم فهو حقًا ديوان العرب، فكانوا يستحسنون الجيد منه ويثنون عليه، وقد احتوى هذا الشعر على عدد غير قليل من اللهجات العربية القديمة، لذا سأختار أمثلة متنوعة من اللهجات الواردة فيه على النحو الآتي:

---

(١٧) كلمة تقي أي والله ما سمعت. عمدة القارئ (٣٨٧/٢٣).
(١٨) مسند أحمد بن حنبل (٤٣٤/٥)، وترسم في بعض المصادر هكذا ليس من أم بِرٍّ أم صيامُ في أم سَفَر.
(١٩) هو بهذا اللفظ أيضًا في مسند أحمد (٤٣٤/٥)، والصحيحين وكثير من كتب الحديث.
(٢٠) سنن النسائي (٢٣٠/٣).

١- قال الشاعر :

وما الدنيا بباقاةٍ لحيٍّ ولا أحدٌ على الدنيا بباق

الشاهد فيه قوله : (بباقاة) إذ قُبلت الياء ألفًا، و الأصل (باقية) وهذه لهجة لطيِّئ، فهم يقولون : ناصاة في ناصية، وباداة في بادية، وكاساة في كاسية، وحاناة في حانية ... إلخ.

٢- قال الشاعر :

وهل ما بَقَى إلَّا كما قد فاتنا يومٌ يجيء وليلةٌ تحدونا

الشاهد فيه قوله (بَقَى) بدلًا من (بَقِيَ) فالمشهور في العربية (بَقِيَ) ، أما قبيلة طيِّىء فتقلب الياء ألفًا فتصير (بَقَى) ، ومثل ذلك قولهم: (فَنَى) بدلًا من (فَنِيَ) ، و (بَقَت) مكان (بَقِيَت) ، فهذه لهجتهم.

٣- قال الشاعر:

قِفَا يا صاحبيَّ بها لعنّا نرى العرصاتِ أو أثَر الخيامِ

الشاهد فيه قوله: (لعنّا) فلعنَّ هي لهجة في (لعلَّ) وهي لهجة لبني عُقَيْل، وأما تميم فيقولون (عَلَّ) ، في حين أنَّ أكثر العرب يقولون: (لَعَلَّ).

٤- قال الشاعر:

وليلةٍ ظلامُها قد اعتكر قطعتُها والزمهريرُ ما زَهَرْ

الشاهد فيه قوله: (الزمهرير) إذ وردت فيه بمعنى القمر وهي لهجة لطيِّىء فهم يطلقون لفظة (الزمهرير) على القمر، وفَسَّرَ بعضُهم كلمة الزمهرير في قوله تعالى: ((لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا) على أنها تعني القمر.

والمشهور من معاني الزمهرير: ١- شدة البرد. ٢- الذي أعده الله عذابًا للكفار في الدار الآخرة.

٥- قال الشاعر:

تولَّى قتالَ المارقين بنفسه وقد أسلَمَاهُ مُبْعَدٌ وحَمِيمُ[٢١]

الشاهد فيه قوله: ((وقد أسلماه مبعد وحميم))[٢٢] إذ وصل بالفعل ألف التثنية مع أنَّ الفاعل اسم ظاهر وكان القياس أن يقول: وقد أسلمه مبعد وحميم. وهذه لهجة لطيِّىء وغيرهم من العرب الذين يطابقون بين الفعل وفاعله في التثنية والجمع.

٦- قال الشاعر:

يلومُونني في اشتراء النخيـ لِ أهلي فكلُّهُم يَعْذِلُ

الشاهد فيه قوله: ((يلومونني ... أهلي))[٢٣] إذ وصل واو الجماعة بالفعل مع أنَّ الفاعل اسم ظاهر مذكور بعد الفعل، وهي لهجة كما تقدم آنفًا.

٧- قال الشاعر:

([٢١]) أسلماه أي خذلاه، ومُبعد أي أجنبي، وحميم أي صديق، والبيت في رثاء لمصعب بن الزبير بن العوَّام.

([٢٢]) أسلم: فعل ماض، والألف حرف دال على التثنية، والهاء مفعول به لأسلم، مبعد: فاعل أسلم.

([٢٣]) يلومونني: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو: حرف دال على الجماعة، والنون للوقاية والياء مفعول به ليلوم، أهلي: فاعل يلوم.

رَأَيْنَ الغوانِي الشيبَ لاحَ بعارضي فَأَعرَضْنَ عنِّي بالخدود النواضر

الشاهد فيه قوله: (رَأَيْنَ الغواني)[٢٤] إذ وصل الفعل بنون النسوة في قوله (رأين) مع ذكر الفاعل الظاهر بعده وهو قوله (الغواني) وهي لهجة كما تقدم آنفًا.

قال ابن عقيل: (فـ "مبعد وحميم" مرفوعان بقوله: "أسلماه" والألف في "أسلماه" حرف يدل على كون الفاعل اثنين وكذلك "أهلي" مرفوع بقوله: "يلومونني" والواو حرف يدل على الجمع، و"الغواني" مرفوع بـ"رأين" والنون حرف يدل على جمع المؤنث...وهذه اللغة القليلة هي التي يعبر عنها النحويون بلغة: "أكلوني البراغيث" ويعبر عنها المصنف في كتبه بلغة "يتعاقبون فيهم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار"، فـ"البراغيث" فاعل لأكلوني، وملائكة فاعل "يتعاقبون" هكذا زعم المصنف)) شرح ابن عقيل (٢/٨٤).

ت – الأمثال:

تعرضت بعض الأمثال العربية لضرورب من التغيير – كغيرها من النصوص العربية القديمة[٢٥] – نجم عنه أن رُويَ كثير منها بروايات مختلفة. وقد اتخذ هذا التغيير صورًا شتَّى، فكان منه ما أصاب بنية الكلمة وصيغتها، وكان منه استبدال كلمة بأخرى، وكان منه التقديم والتأخير والذكر والحذف في ألفاظ الأمثال. وقد ارجع أحد الباحثين[٢٦] ذلك إلى عدة أسباب، الذي يعنينا منها هنا اختلاف اللهجات[٢٧]، فهذا العامل من أهم عوامل التغير في ألفاظ الأمثال، فأُصيب

(٢٤) رأين، رأى: فعل ماض، وهي هنا بصرية، والنون حرف دال على جماعة الإناث، والغواني: فاعل رأى.

(٢٥) ولكن نصيب الأمثال كان النصيب الأوفى؛ ذلك لأنها أكثر أنواع الكلام تداولًا بين الناس واستعمالًا في اللغة.

(٢٦) يُنظَر تفصيل ذلك في كتاب: الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، لعبد المجيد قطامش. (٢١٦/٢٢٦).

(٢٧) ولكن قلَّمَا ينسب علماء العربية الأمثال إلى قبائلها، لذا يكتفون بقولهم: ويروى كذا، أو نحو ذلك.

بعض ألفاظها بالتغيير نتيجةً لتفاوت القبائل العربية في طريقة النطق بالأصوات، ومن أمثلة اختلاف ألفاظ الأمثال الذي مرده يرجع إلى اختلاف اللهجات ما يأتي:

١- قولهم : ((حُبِّبَ[٢٨] إلى عَبْدِ سَوءٍ مَحْقِدُه))[٢٩].

إذ روي فيه (مَحْكِده) بالكاف بدل القاف، وقد ذكر الميداني أنَّ (المحقدة) لهجة كلاب، و (المَحْكِد) لهجة عُقَيل.

٢- قولهم: ((شَرٌّ ما أَجاءَكَ[٣٠] إلى مُخَّةِ[٣١] عُرْقُوبٍ[٣٢])).

إذ روي فيه ((أَشَاءَك)) وهي لهجة تميم.

([٢٨]) يُروَى (حبيب) و (حُبَّ) أيضًا.

([٢٩]) يُنظَر: جمهرة الأمثال (٣٧٥/١)، و المستقصى (٥٦/٢)، ومجمع الأمثال (٢٦١/١)، ولسان العرب مادة (حكد) ، والتاج (٢٢/٨) (حكد).

والمَحْكِد هو الأصل، ومعناه أنَّ الشاذ يحب أصله وقومه حتى عبد السوء يحب أصله. ويضرب لمن يحرص على ما يُهينه ويَشينه ويَسُوءه.

تنبيه: ذكر الميداني أيضًا مثلًا بلفظ: حَبِيبٌ إلى عَبْدٍ مَنْ كَدَّهُ.

يعني أنَّ مَنْ أهانه فهو أحبُّ إليه من غيره؛ لأنَّ سجاياه مجبولة على احتمال الذل. مجمع الأمثال (٢٥٧/١).

([٣٠]) أي ألجأك. ومخة عرقوب أي عرقوب الرجل؛ لأنه لا مخ له.

والمعنى ما ألجأك إليها إلا شرٌّ . التاج (٢٢٤/٣) (عرقب).

([٣١]) المخ: نقي العظم، والمخة: الطائفة منه، وذكر أنَّ العرقوب لا مخ فيه، وإنما يحوج إليه مَن لا يقدر على شيء.

([٣٢]) جمهرة الأمثال (٥٤٩/١)، واللسان (جيأ، عرقب، مخخ) ، والمستقصى (١٣١/١).

والعرقوب: العَصَب الغليظ المُوَتَّر فوق عقب الإنسان، وعرقوب الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها،

والعرقوب: لا مُخَّ له. ويضرب مثلًا لكل مضطر إلى ما لا خير فيه. وقيل: يضرب عند سؤالك اللئيم، أعطاك أو منعك.

٣- قولهم: ((دَغْرًا لاصَفًّا)) ، روي ((دَغْرَى لا صَفَّى)) ، و ((دَغْرٌ لاصَفٌ))[٣٣].

ذكر الميداني أنَّ ((دَغْرَى)) لهجة الأزد، و ((دَغْرًا)) لهجة غيرهم.

([٣٣]) مجمع الأمثال (١/٣٤٥)، واللسان والتاج (دغر).

والدغر: الاقتحام من غي تثبت، ومعناه: اقتحموا عليهم ولا تُصَافّوهم. ويضرب في انتهاز الفرصة.